الميلاد

في أحد الأحياء الراقية، وتحديدًا بحي المهندسين بمحافظة الجيزة، جلست الأم تترقب يوم ميلاد ابنها الرابع «مازن»، في السادس عشر من شهر يونيو لعام ١٩٨٦ لتكتمل أسرة المهندس مصطفى السماحي رجل الأعمال المصري، وزوجته فادية سلامة مترجمة اللغة الإيطالية.

إذ أشرقت شمس هذا اليوم على نور ملائكي في صورة طفل يبكي لخروجه إلى عالمنا، وكم كانت فرحة الأسرة بميلاد طفلها الرابع والأخير في ترتيب الأبناء: سوزي، ماسيمو، محمد، مازن، والذي لم يكن فرحة لتلك الأسرة الصغيرة فحسب، بل كان بعد ذلك فخرًا للعائلة المصرية، بل لكل إنسان منصف.

ذاك الطفل الذي لم يأتِ سويًّا في خِلْقته، إلا أنه أعطى درسًا للأسوياء في الريادة والإنسانية والعيش لهدف.

ولعله كان متشوقًا متلهفًا للنزول إلى حلبة الصراع الدنيوي ليرينا ما يمتلكه من قدرات ومؤهلات النصر، وحسم الجولات لصالحه؛ إذ كان مفعمًا بالحيوية منذ اللحظة الأولى لميلاده، فلما حملت الأم بمازن وراحت تترقب الأيام في حملها الرابع،

شـأنها شـأن كل الأمهـات، حتـى جـاءت آلام المخـاض، فحُملت إلـى المستشـفى لتلد (مـازن) الـذي لـم يُطِقْ صبـرًا حتـى تصـل أمـه إلـى غرفتهـا، وإذا بهـا تضـع مولودهـا المشـاغب في طريقهـا إلـى الغرفـة، فجـاءت ولادتـه في المصعـد الكهربائـي إيذانًـا بأنـه في طريقـه دومًـا إلـى الرِّفعـة وعلـو الشـأن.

ومـا إن فاقـت مـن آلام الوضـع لتتحسـس وليدهـا، وتهدهـد رضيعهـا، استشـعرت أن هنـاك أمـرًا مـا، لـم يكن الطفـل كعـادة الأطفـال، هنـاك خلل مـا، وعلـى الفـور تحدثـت إلـى الطبيـب المعالـج فأخبرهـا بـأن تمـر عليـه بعـد أسـبوعين لعمـل بعـض التحاليـل لـ(مـازن).

مـرت الأيـام بطيئـة وذهبـت السـيدة فاديـة بولدهـا إلـى الطبيـب المعالـج وتبـين مـن الفحوصـات والتحاليـل أن (مـازن) عنـده متلازمـة داون و(المتلازمـة أو التنـاذر هـي مجموعـة الأعـراض المرضيـة والعلامـات المتزامنـة ذات المصـدر الواحـد). إذ إن متلازمـة داون سـتروم تعتبـر النـوع الثانـي مـن أنـواع المتلازمـة، وهـو النـوع الـذي ينتمـي لـه مـازن. (يحـب التكيـف مـع الآخريـن).

جلسـت الأم رابطـة الجـأش لـم يظهـر عليهـا أثـر التشـخيص، فقـد كانـت تستشـعر بـه وراحـت تتحـدث مـع الطبيـب الـذي أعجـب بشـجاعتها وهـي تواجـه أمـرًا جديـدًا عليهـا.

عـادت الأم إلـى المنـزل وفـى مخيلتهـا أسـئلة كثيـرة: مـاذا أفعـل؟ هـل أتركـه مهمَـلاً وليحـدث لـه مـا يحـدث؟ هـل أخطـأت في حملـه؟ هـل وهـل وهـل؟ أسـئلة كثيـرة دارت بخلدهـا لـم تجـد لهـا إجابـة.

إلا أن عاطفـة الأمومـة بداخلهـا جعلتهـا تصـرخ: كلا، وألـف كلا، إنـه ولـدي وفلـذة كبـدي، سـأرعاه مـا حييـت، وسـأبذل قصـارى جهـدي حتـى يكـون رجـلاً نافعًـا مثـل إخوتـه إن لـم يكـن أفضـل منهـم.

إنهـا عاطفـة الأمومـة الفياضـة، لـم تستسـلم وتنـدب حظهـا وحـظ ولدهـا، بـل تسـلحت بمـا لديهـا مـن صفـات تجعلهـا قـادرة علـى المضـي قدمًـا في هـذا الـدرب الطويـل، غيـر حافلـة بمـا ينتظرهـا مـن صعـاب في تربيـة (مـازن) الـذي اسـتعارت اسـمه مـن السـحاب،

فليكن الاسم والمسمى كذلك. فكم من أم حملت وأرضعت وعجزت عن تربية أبنائها الأسوياء، وكم من أم تركت أبناءها وفرَّت هاربة من تحمل المسئولية!

مهما يكن ولدي فله حق عندي وسوف أوفيه حقه وليكن ما يكون، إنها القوة الكامنة التى تحدثنا عنها من قبل، فأين تكمن القوة عند السيدة (فادية سلامة)؟ هذا ما سنعرفه.

●●●